الكسي ارداتشيف شخصاً لا يعوض بالنسبة للقيصر لو انه وفر عليه حياته . كان من بعد النظر أن تقوم الرغبة في فتح ليڤونيا لاعطاء روسيا منفذا على البلطيق ، ولكن لم يكن مسوغا ابدا ما قام في ليڤونيا نفسها وفي روسيا من إرهاب شديد . وكان عقاب نوڤغورود وما نجم عنه من تدمير لتجارتها قد تسبب في نكسة للسياسة اللتوانية ، إذ كانت نوڤغورود اكبر مدينة في روسيا أو تكاد ، كما كانت الحلقة التي تربط التجارة بين روسيا وليتوانيا .

فلم تكن ليڤونيا تشعر إذن بوجود مصلحة مشتركة تربط بينها وبين الروس . وتفشت كراهية الروس حتى بين الاستونيين الأكثر تواضعا وبين أقنان الأرض من الليتون . ولما بدا على الروس التقهقر في ساحة النزال لم يكن هؤلاء الاستونيون والليتون آخر من قاموا يطلبون الثأر . فقد مشى فلاحون مسلحون يقودهم رجل يسمى « هانيبال » من نصر الى نصر خلال الأشهر الأولى من عام ١٥٧٧ حارقين مدنهم وقراهم لطرد الموسكوفيين . فاستولوا على ويتنشتاين وأحرقوا پيرنو وردوا لإيڤان ما ذاقوه منه بوضعهم أعدادا من الروس تحت العذاب .

ولكن القيصر جمع قوات كبيرة . وأصبح القيصر السابق سيميون الذي غدا دوقاً على تڤير يقود الآن جيشاً بالغ الأهمية . وعاد ماغنوس ليظهر على مسرح الأحداث وأعاده القيصر بين المقربين اليه حتى انه مضى لفتح المملكة التي كان يشتهيها ويحلم بها . والواقع أن ماغنوس كان يلعب لعبته الخاصة وكان مستعداً لقبول حماية ملك بولونيا على شرط أن يكون متأكدا من حصوله على مملكته . وقد أمره القيصر بالاستيلاء على ڤندن فاستولى بسهولة عليها دون اللجوء الى السلاح بل بإعطائه وعداً لسكانها بالحرية والأمان من ظلم الروس ، ثم تابع تقدمه من تلقاء نفسه تحييه الجماهير كما لو كان منقذا وملكا على ليڤونيا .